

الأستاذة: لمياء عيطو

مقياس: النص الأدبي الحديث

المحاضرة موجهة لطلبة السنة الثانية دراسات لغوية (الفوج 03/02/01)

المحاضرة الخامسة: التجديد الشعري في المشرق (02)

لقد كانت المحاضرة السابقة حديثا عن مظاهر التجديد التي مست القصيدة الشعرية، وذلك بعد تأثر الشعراء الكبير بتيار الرومانسية الذي عزف عن ما قدمته المدارس السابقة كالكلاسيكية من جهة، ومن جهة أخرى ظهور التكتلات التي تأثرت بالرومانسية كجماعة الديوان التي ظهرت عندها ملامح تجديدية على مستوى المعنى والمبنى، وذلك من خلال كسر نمطية المنظومة الإيقاعية للقصيدة من حيث الأوزان والقوافي مع الاهتمام بالموسيقى الداخلية، والخروج عن فكرة البيت الواحد إلى فكرة الوحدة العضوية والموضوع الواحد، وعديد من التغييرات الأخرى.

2- جماعة أبولو:

أنشأ أحمد زكي أبو شادي (1892-1955) هذه الجماعة التي ضمت مجموعة من الشعراء والنقاد والأدباء نذكر منهم: أحمد محرم (1877-1945)، إبراهيم ناجي (1898-1953)، علي محمود طه وغيرهم وقد ترأسها في بداية الأمر أحمد شوقي الذي توفي بعد أيام قليلة، ليخلفه بعد ذلك خليل مطران.

استلهمت الجماعة تسميتها من الميثولوجيا الإغريقية، حيث كان يمثل أبولو إله النور والشعر والموسيقى، يقول أبو شادي: « وإذا كانت الميثولوجيا الإغريقية تتغذى بأبولو رب الشمس والشعر والموسيقى، فنحن في حمى الذكريات التي أصبحت عالمية بكل ما يسمو بجمال الشعر العربي وبنفوس شعرائه»، وقد قام عباس محمود العقاد بانتقاد هذه التسمية لأنه يرى بأن للعرب والكلدانين ربا للفنون والآداب اسمه عطارد، وهو الاسم الانسب للمدرسة لأن أبولو عند اليونان لم يكن مقصورا على الأدب والشعر فقط، وإنما تعدى ذلك إلى الزراعة والماشية؛ ولأن التسمية الشرقية مألوفة في آدابنا ومنسوبة إلينا، ويستشهد في ذلك بقول ابن الرومي:

ونحن معاشر الشعراء ننمى

إلى نسب من الكتاب دان

أبونا عند نسبتنا أبوه

م

عطارد السم

اوي

المكان

وأصدرت الجماعة مجلة تغنى بالشعر العربي باسم مجلة أبولو وظلت تصدر من سنة 1932 إلى 1935، ولقد أخذت هذه الجماعة على عاتقها عملية إثراء الشعر العربي وتوجيه الشعراء توجيها شريفا، وجعلتها من البنود الأولى في دستورها الذي نشر في العدد الأول من المجلة، وقد ركزت كذلك على ضرورة مناصرة النهضات الفنية في عالم

الشعر، وترقية مستوى الشعراء ماديا وأدبيا واجتماعيا والدفاع عن كرامتهم، وهذه الأهداف كانت مشتركة مع أهداف جماعة الديوان والرابطة القلمية.

التحديد المضموني عند جماعة أبولو:

تعددت الموضوعات التي تناولها شعراء هذه المدرسة بتنوع ثقافتهم وتعدد مشاربهم، ومن الموضوعات التي نجدها حاضرة عند أعضاء الجماعة:

موضوعات الطبيعة:

يختلف تعاطي الشعراء المحدثين من الرومانسيين مع الطبيعة عما كان متبعاً لدى الأقدمين، فمن تحولات التغيي بالطبيعة في الشعر استخدامها للتعبير بما عن حالاتهم النفسية والاندماج معها وفي هذه الحالة تصبح عناصر الطبيعة بأكملها تعبر عن حالاتهم النفسية والعاطفية وتحولاتها، لذا لا يعاب على الشعراء استخدام الرموز ذاتها بل وتكرارها في القصيدة الواحدة فالشاعر يقصد التعبير عن نفسيته وما يشعر به لا التغيي بمظاهر الطبيعة لذاتها فحسب.

يقول إبراهيم ناجي في قصيدة بعنوان خواطر الغروب، هذا العنوان الذي يبين نوعاً من التماهي والذوبان في

الطبيعة:

ما تقول الأمواج ما ألم الشمس فولت حزيناً

صفراء

تركتنا وخلفنا ليل شك

أبدي والظلمة الخرساء

وكان القضاء يسخر مني حين أبكي وما عرفت

البكاء

ويح دمعي وويح ذلة نفسي لم تدع لي أحداثه

كبرياء

إن حيرة الشاعر في هذا المقطع مستمرة لا تنقطع، فما حديث الأمواج وما سبب الحزن الذي يلم بالشمس؟

ثم يربط هذه الحيرة بنفسه وأحزانه فكأن الشمس مصفرة من حزنه، وذلتها التي جرت أحداث الحياة، فلم يتبقى له من كبريائه شيء فالموجودات تتفاعل بتفاعل نفسه وتتأثر به وتؤثر فيه، فتناول الشعراء لموضوع الطبيعة يختلف عن سابقهم؛ حيث إنها كانت لديهم عبارة عن كيان متفاعل يتأثر بهم ويؤثر فيهم، وتنعكس عليه خلجات نفوسهم، وخفقات قلوبهم فهم مجددون في هذا الضرب.

الموضوعات الفلسفية:

الشعر هو عمل فكريّ في مقامه الأول، يخلق فيه الشاعر ارتباطات ويقيم فيه علاقات بين عناصر كانت العلاقة بينها واهية أو منقطعة تماما، وفي خضم هذا العمل الذهني العاصف تتولد التساؤلات بوصفها نتاجا ثانويا للحركة الفكرية فالشاعر بالضرورة مفكر والمفكر فيلسوف يحاول طرح أسئلة حول الإنسان، العالم، الحب، أو القيم ونجد في قصيدة أبي شادي الطائر الجديد حيرة الفيلسوف وتساؤلاته التي لا تنتهي:

أيها الإنسان يا ابن الأرض فيما تشتهي أن تعثلي هذا السديما

لك أن تسمو شئت ولكن أصلح الأرض تجد فيها المفاتن

قب أن تمضي لهوا أو تطيبر عمّر الأرض ولا تنس

المسيبر

كم راب شامل فيها نراه أنت تبقيه على غير

انتبهاه

عمّر الأرض تكن فيها إليها إن هذا وحده

مجد

يتعجب الشاعر ويتفكر في حال الإنسان الذي لا ينتهي به التطلع إلى ما هو أسمى، ولا يقول الشاعر إن ذلك التطلع مرفوض وإنما ينادي على الإنسان أن يبتدئ بما تحت يده يقيم عوده ويصلح من شأنه ثم ينتقل بعد ذلك لما فوقه، منبها على ما يجره الإنسان - في سلوكه الحياتي- من خراب وتدمير، فالأبيات كأنما هي إرشاد أقرب إلى الفلسفة أو فلسفة بطابع الإرشاد، كل ذلك تحت ضباب خفيف من الحيرة من ذلك المخلوق الأرضي المتطلع إلى ما علاه وسما عن عالمه.

الموضوعات ذات الطابع الوجداني الذاتي:

ونعني بما ذلك الشعر الذي تبرز فيه ذاتية الشاعر سواء عبر عن إحساساته ومشاعره الخاصة، أو صور أحاسيس ومشاعر الآخرين ولو أنها بخواطره وأفكاره وأما أهم دوافع هذا النوع من الشعر فهي الآلام والمعاناة ومرارة التجربة مما يحمل الشاعر على البوح بما في نفسه من شعور بالألم أو الوحدة أو الحب، أو غير ذلك من العواطف الصادقة التي تلهب القلب وتصفى الذات . وهو ينطلق من قلب الشاعر ليتوجه إلى قلبه موحدا بين الذات والموضوع. يقول إبراهيم ناجي في قصيدته الشاعر والنهر:

مكاني المهادئ البعيد
الأيام
قد أمك الهارب الطريد فآوه أنت والظلام
ما حيلة الليل في عيماء
البطيء
أ إن حبا العمر في الفناء من فحمة الليل أستضيء
ي أيها النهر بي حسد لكل جار عليه تعطف
أكبر راج كما يود يروي ظماه
ويرتشوف

وكل غماد له نصيب من مائك البارد الشيبم
ومن حبيب إلى حبيب ترنو حنا تبتسم
يبدو الشاعر هنا في حالة استسلام تام لليأس، وهو يحاول أن يجد الملاذ في مكانه الآمن البعيد، ولعل البعد بما فيه من إشارة للغربة متأصل في شعر ناجي، وطالما ذكره وأطال الوقوف عليه، وتبدوا المأساة مجسدة في حديثه مع نفسه في معان من أمثال (عدم الحيلة، الليل ذ، الفناء، الاستضاء في ظلام الليل الدامس...) ويواكب هذا الاحساس المأساوي بالحياة في شعره كثرة تردد مفهوم الغربة.

موضوعات بطابع الفقد والحزن:

بصورة عامة نجد شعراء أبولو قد تأثروا بالرومانتيكيين الإنجليز، وقد اجتمعوا - على اختلاف مشاربهم - حول مائدة الحزن؛ فنجد لديهم في صورة الحب الحزين الذي ينتهي إما بفراق وإما بموت، معادلا موضوعيا ليأسهم في الحياة وعجزهم عن التصدي للواقع، فكان أغلب شعراء الجماعة يصورون الفرد في أدبهم على أنه فرد سليلي حزين وهذا ما نجده واضحا في أشعار إبراهيم ناجي وعلي محمود طه الذي كان كله مدعاة لبلبله الروح، وللضياع، والسوداوية البائسة - في كثير من الأحيان. وصورة الحبيب الغائب دائما ما تتكرر في شعر إبراهيم ناجي، يقول في قصيدة ساعة لقاء:

يا حبيب الروح يا روح الأمانى لست تدري عطش الروح إليكا
وحنيي في أني من غير فغان
أشرب من مقلتيكا للردى

ولقاء لم يكن لي في

آه من ســـــــاعة بث وشجون

حســـــــاب

وحديث لم يدر لي في الظنون يا طويل المحر يا مر الغيـــــــاب

موضوعات في تساؤلات الحياة:

كانت أرواح شعراء أبولو أرواحاً مهتاجة، ونفوسهم مضطربة فطرحوا العديد من التساؤلات حول كل ما تقع

عليه أعينهم أو ترف به خواطهم، دون محاولة إيجاد إجابات لها، يقول أبو شادي:

يا زين دنيـــــــاي التي ما نـــــــالني منها سوى

قلـــــــي على حرمان

لم يحبونك؟ هل أثمت بكل ما أعطيت من حسنك من جمال بياني؟

هل لي سوى دين الطهـــــــارة ملة أو لي سوى

حـــــــمــــــي أو دـــــــياني

فإذا حجت فمن أخص بمهجتي؟ ولمن أعيش؟ ومن له

وجدانـــــــي؟

على الرغم من أن الاستفهامات والتساؤلات تملأ قلب الشاعر، إلا أنها لا تنتظر إجابة وإنما تنطلق هكذا لتتعلق

مثل خيوط العنكبوت في فضاء لا نهائي يقود كل تساؤل منها إلى آخر أعمق غورا وأكثر حزنا وسوداوية.

التجديد الشكلي عند جماعة أبولو:

- التجديد على مستوى القوافي وحروف الروي، ولا يكاد يخلو ديوان أحد شعراء أبولو من هذه المحاولات

التجديدية بصورة عامة، وعلى إطار الموسيقى بوجه خاص، وشعراء أبولو لم يستخفوا بالعروض ولا أغفلوا ضرورة

اتباع ما استن الخليل من قواعد للقفائية، فما تبعوه منها تبعوه على أصل وضعه وما خالفوه خالفوه بخروج هو في

العيوب المعلومة للقافية.

يقول إبراهيم ناجي في قصيدته الأطلال:

يا غراما كان مــــــي في دــــــمي قدرا كالمـــــــوت أوفى طعمه

ما قضينا ساعة في عرسه وقضينا العــــمــــر في مآتمــــه

ما انتزاعي دمعة من عينيه واغتصابي بسمــــة من فمــــه

أه يا قُبْ _____ لة أقدامي إذا شكّت الأقدام أشواك الطريق
يظم _____ أ السَّ _____ اري له أين في

عينيك ذِيَّ _____ اكَ البريق

لست أنساك وقد أغرَيْتني بالذُّرى الشُّمَّ فأدمنت الطموح

أنت روح في سم _____ ائي وأنالك أعلو فكأني محض روح

لقد عمد الشاعر إلى التنويع في القوافي واللجوء إلى الأوزان الخفيفة المناسبة لمواقف التلحين، فالشاعر لم يلتزم بروي واحد كما هو واضح.

- الفنون المستحدثة كالموشح الذي ظهر في أعمال شعراء أبولو ، حيثقد أفردوا له حيزا مقدرًا وقد أجادوا فيه وأحسنوا، وللشاي في مجال التوشيح موشحة من مجزوء الرمل يقول فيها:

غني أنشودة الفجر الضحوك أيها الصداح

فلقد جرعت صوت الظَّ _____ لام

ألم _____ ا علمني كره الحياة

إن قلبي مل أص _____ اداء النواح غني يا ص _____ اح

حطمت كف الأسى قيثارتي في يد الأحلام

فقضت صمتمًا أناشيد الغرام

بين أزهار الخريف الزاوي _____ اة

وتلاشت في سكون الاغتراب كصدى الغريد

استخدم الشاعر القفل المركب إلا أنه لم يكتف بين البيتين بقفل واحد وإنما بقفلين، وقد جدد في ما قام بالنظر إلى محورين أحدهما: أنه لم يلتزم بروي ثابت للأقفال كما هو معلوم في الموشح، وثانيهما: أنه لم يوحد روي الأسماء في البيت الواحد.

- التجديد علة مستوى الصورة حيث استطاع شعراء أبولو أن يخرجوا بالصورة من الحالة الحسية والذهنية، والثنائيات السريعة التي تقوم كل منها على فكرة محدودة، إلى حالة أعمق هي حالة الشعور الذي يسود القصيدة كلها أو الأبيات

العديدة منها، وإلى الغوص في أعماق النفس لخلق التأثير في داخلها بدلا عن التأثير الذي تتلقاه من الخارج فكان بناء الصورة لديهم بناء متكاملًا ينتظم الأبيات الطوال وينظمها في لوحة شعورية واحدة حتى يستنفدوا عملهم فيها.

الخصائص العامة لشعر جماعة أبولو:

- إذا فقد وضعت جماعة أبولو جملة من القواعد الجديدة في كتابة الشعر، فجعلت له خصائصا جديدة صرح بها أعمدة المدرسة من النقاد والأدباء من خلال مجلة أبولو التي تأسست عام 1932 واستمرت في الصدور حتى 1934.
- الوجدانية، ومن مظاهرها القلق والترعة الإنسانية والاهتمام بالأشياء البسيطة.
 - الانحياز للطبيعة، لأنها خزان المجهول والأسرار، فأغرقوا في الخيال والتأمل، واستعاروا الرموز الأسطورية والصوفية.
 - نوّعوا القوافي وأحيانا تحرروا منها (الشعر المرسل)، وكتبوا ما أسموه بالشعر المنتثر الذي لا وزن ولا قافية له.
 - التوكيد على وحدة القصيدة، وعلى وحدة الشاعر نفسه في مذهبه.
 - الاهتمام بالشعر القصصي والمسرحي.
 - الدفاع عن الحرية الكاملة للشاعر في النهل من كل الثقافات وتضمينها بطريقة تتناسب مع مبادئ الرومانسية. إنَّها كما يقول الشابي، ثورة في سبيل حرية الشعر وكماله، ثورة مازالت تختلط فيها المطامع والميول، وتضطرب فيها أصول المذاهب اضطراب البذور في جميل السيل

بعض المراجع المعتمدة في المحاضرة:

- شكيب الأنصاري: تطور الأدب العربي المعاصر.
- علي الأطرش: محاضرات في النص الأدبي الحديث.
- حسن علي حسن سليمان: مظاهر التجديد في الشعر الحديث.